

اللاجئات وأماكن قضاء وقت الفراغ والمدينة

سارة لِن

يُظهِرُ بَحْثٌ أُجْرِيٌّ عَلَى لَاجِئَاتٍ فِي عَمَّانَ وَبَيْرُوتَ عِظَمَ شَأْنِ الْوُصُولِ إِلَى أَمَاكِنَ يُقْضَى فِيهَا وَقْتُ الْفِرَاقِ أَمَنَةً لِحَسَنِ الْحَالِ وَالانْدِمَاجِ.

المال، وذكرن أثر ذلك في تنقلهن. فأماكن قضاء وقت الفراغ كالكرنيس في بيروت أو مدينة الحسين الرياضية للشباب في عمان، كانت بعيدة جداً عنهن، مسافةً وكلفةً.

وأما النساء اللواتي أسسهن الاجتماعي الاقتصادي منخفض، فيكثر أن تكون معرفتهن قليلة بالمدينة التي تُصِفِهِنَّ، بكل ما بُعدَ الأحياء التي هنَّ فيها، وفي ذلك إشارة إلى الخوف والتشويش. ولا سيما اللواتي لا يعرفن القراءة والكتابة، فقد شعرنَ أن لا قدرة لهنَّ على الخروج من حدود أحيائهنَّ، وكأنهنَّ 'عمياوات'، فلا يستطعنَ قراءة اللوائف وأسماء الطرق، ويكثرُ أن يَحْشِنَ سؤَالَ الْآخِرِينَ أَنْ يَسَاعِدُوهُنَّ.

ولقد رأت اللاجئات أن أماكن قضاء وقت الفراغ في الأحياء التي يعشنَّ فيها مهمة غير آمنة. فعلى سبيل المثال، ذكرت لاجئات في شرقي عمان اجتنابهنَّ الذهابَ إلى منتزه قريب منهنَّ واصفاتٍ إيَّاه أنه 'بشع'، وله سمعة سيئة من حيث السلامة الشخصية، ويكثر أن يتردد إليه ثل من الرجال 'المتسكحين'. ومثل ذلك، أن ذكرت نساءً في بيروت أنهنَّ يَرَبْنَ في بعض الأماكن المحلية، ومنها ملعب للأطفال ومنتزه، أنها متابِتُ نزاع وتوتر بين اللاجئتين والمجتمع المحلي. فكثير من التوتر الذي ذكرته وقع في ملاعب الأطفال فاشتدَّ قِصَارُ مُشَادَّةِ كَلَامَةِ وَتَهْدِيدِ بَيْنَ أَهَالِي الْأَطْفَالِ.

وقالت نساءً إن حياتهنَّ الاجتماعية في سورية كانت متنوعةً، إذ كنَّ هناك يتمتعنَّ بالمؤانسة في الشوارع في أوقات مختلفة من اليوم، وذكرت أكثرهنَّ أنهنَّ في المدن المضيفة مضطرات إلى البقاء في البيت بعد غروب الشمس، وعبر كثير منهنَّ عن إحباطهنَّ بسبب منعهنَّ من المؤانسة في أحيائهنَّ مساءً، لأنَّ قلبي أسرهنَّ عليهنَّ أفضى بهم إلى تقييد حركتهنَّ. وأعربت اللاجئات المقيمات في بيروت عن قلبي من الخروج من البيت ليلاً أعظم من الذي أعربت عنه اللاجئات في عمان. وهذا كان موصولاً وصلاً مباشراً بافتقارهنَّ إلى إطلاق صفة اللاجئ عليهنَّ وإلى شرعية كونهنَّ في لبنان، وبالإطار الأمني المعقد المعمول به في بيروت. فقد خافت هذه النساء من أن يُنْظَرُ إلى أوراقيهنَّ الرسمية (فأكثرهنَّ كنَّ يَمُنَّ في بيروت وتصريجهنَّ القانوني

يمكن أن تكون الأماكن الحضرية، البسيطة المأوى، عند اللاجئتين المتوطنتين من تلقاء أنفسهنَّ، المفتقرتين إلى الموارد، وأكثرهنَّ يعاني آثار الضرر النفسي، أن تكونَ واسطةً لحسن حالهنَّ. فاستعمال هذه الأماكن للاستراحة والتفكير، أو لرياضة الجسم ومعايشة الناس واللعب، ممكناً أن يعين اللاجئتين على مدِّ حبال أمتنَّ بينهما وبين المجتمع المضيف، وأن يضيء بهنَّ إلى فهمِ المدن التي يعيشون فيها فهماً مكانيًا.

ولكنَّ تعاني الأحياء التي تتميز باستقبالها اللاجئتين وتقع في مدُن البلاد التي يسكنها أكثر ناس الأرض، تعاني هذه الأحياء التنمية والتخطيط غير الرسميين، وقلة المساكن الشاغرة، وكثافة سكانية شديدة. ولذلك، تكون الأماكن العامة فيها، البسيطة المأوى، التي يقضي المرء فيها وقت الفراغ، قليلة ومهملة في الأكثر. ولقد تَخَصَّصَ بعض الجماعات والأفراد بهذه الأماكن، فيعزل ذلك الناس الآخرين أو يَحْفِقُهُمْ، أو قد تراقبَ الدول هذه الأماكن من كتب.

وأما بحثي الذي أجريته بين سنة ٢٠١٦ وسنة ٢٠١٧، فقد ركزتُ همَّه في تجربة اللاجئات السوريات الجندرية في التنقل، والأمن، والأماكن العامة في أحياء من مدينة عمان ومدينة بيروت. وقد اختارَ اللاجئون هذه الأحياء، بسبب قدرتهم على دفع كلفة العيش فيها، وقربها من فرص العامل (غير النظامي)، وأواخر القرابة، وهذا الأخير كثير.

ولكنَّ لم يكن للنساء المقيمات في هذه المناطق سبيل مفتوح يصلنَّ به إلى الأماكن الحضرية العامة. ولم يقتصر سبب ذلك على افتقار هذه المدن إلى أماكن كهذه، بل شمل أيضاً عدداً من مسائل بنوية وذاتية متشابكة، فاجتمع السببان فأنشأ معوقات كثيرة أمام النساء في سبيلهنَّ إلى الأماكن العامة وإلى التفكك بفرص فيها أوقاتهنَّ.

مُعَوَّقات الوصول إلى ما تقدّم ذكره من أماكن

ألفت النساء الضوء على معايير مجتمعية وثقافية تحكم حضورهنَّ وتنقلهنَّ في الأماكن العامة. ومما كوّن تجاربهنَّ سهولة تعرضهنَّ للمضايقة اللفظية والإساءة الجسدية والتحرش الجنسي، بسبب جنسهنَّ وحالة لجنونهنَّ. وأبرزنَّ أيضاً أن لا استقرار في أحوالهنَّ العملية وأنهنَّ مفتقرات إلى

ويعترض كثيرٌ من المقيمين في المدينتين مدّةً طويلةً من قلة الأماكن العامّة الأمانة، التي يمكن أن يجدوا فيها ترحاباً، ليقتضوا فيها أوقات فراغهم. فينبغي للمخططين أن يُقدّموا في الأولويّة هذه المناطق من المدينة، التي يكون التغيّر الاجتماعيّ فيها شديداً، ومواردها في خطر شديد، وتعاني التلوّث البيئيّ. إذ يحتاج الناس إلى أماكن خضراء، سهلة المآق، قريبةً من أحيائهم، جيّدة الإضاءة، ومراقبة إن اقتضى الحال ذلك، لضمان تهيئة أعمال التخریب الصغيرة والتحرّش الجنسيّ. وقالت النساء مؤكّداً إنهنّ لا مانع عندهنّ من حضور ناسٍ من الأمن أو من السلطات إن عنى ذلك أن الخلافات في الحيّ تحت السيطرة وأن النظام العامّ محافظٌ عليه.

ويمكن أن يُعيّن رسمُ الخرائط المكانية - لإيجاد طريقة يصل اللاجئون بها إلى مختلف الأماكن في المدينة - المخططين والمنظمات غير الحكومية على النظر في الطرق والوسائل التي بها تنتفع النساء من الأماكن، فكيف يشعرن عند التنقل في الأماكن العامة؟ ولم يتجنّبن أماكن معيّنة؟ على أن تخطيط الأماكن تقع عليه تحديات اجتماعية وثقافية أيضاً، وإنه مثيرٌ لمسائل أخلاقية أوسع، في ما له صلة بتشارك المعلومات الدائرة حول تنقل اللاجئتين. ولكن بعض

المنظمات غير الحكومية في لبنان استعملت تخطيط الأماكن استعمالاً ناجحاً. فقد نجحت منظمة غير حكومية ببيروت في تخطيط الطرق التي سلكتها النساء حين زرن مراكز التماس المشورة. فبيّس ذلك مناقشة مفتوحة في ما يُجنّب من أماكن وناس ونقط تفتيش وغير ذلك. وقد أُجري التخطيط لكي تتشارك المعلومات تشاركاً نشطاً، ولضمان أن تشعر النساء بالأمان وأن لا ينقطعن عن الانتفاع من مراكز التماس المشورة. ويمكن أن يُنتفع أكثر من مثل أساليب التخطيط هذه لتحسين فهم الأحياء السكنية، والاستفادة من المرافق والأماكن التي تُقضى فيها أوقات الفراغ.

ولتحقيق كل ذلك، ينبغي أن يعمل المخطّطون والمنظمات غير الحكومية والمجتمعات المحليّة، معاً، على تقديم

منتهي الصلحيّة أو أنهنّ قدمنّ لبنان تهريماً) وطلبنّ البقاء غير ملحوظات. ويُقابل ذلك، أن النساء السوريات المقيمت في عمان أُعربنّ عن بعض انزعاج وخوف يصيهنّ وهنّ في الأماكن العامّة، ومع ذلك، فشعورهن بشريّة وجودهنّ في الأردن وبالحمية فيها، الذي هو أكثر مما تشعر به اللاجئات في لبنان، أفضى بهنّ إلى أن يجدنّ قيوداً أقل على حرّكنهنّ الشخصية في المدينة التي تُضيفهنّ.

التأثير في حُسن أحوال النساء

ومما نتج عن هذه التحديات، أن كثيراً من النساء قضينّ أوقات فراغهنّ في عزلة. وإن كان للنساء أقارب في الأحياء التي يُقمنّ فيها، أو أنهنّ مددّن أحيال اتصال بينهن وبين الجيران، ملنّ إلى قضاء أوقات فراغهنّ بالزيارات الاجتماعية. فكانت هذه العلاقات ضروريةً في حُسن أحوالهنّ. وأما النساء اللاتي لم يكن عندهن علاقات اجتماعية، فذكرنّ أنهنّ يعشنّ كثيراً من انعدام التنقل ومن الانقطاع عن الناس، والعزلة، وعبرنّ أيضاً عن أنهنّ يجدنّ أنفسهنّ 'غريات' في المدينة التي تُضيفهنّ، وهذا جعل خوفهنّ حين يكنّ في الأماكن العامة مستفحلاً.



ملعب أطفال في بيروت، سنة ٢٠١٦.

هذا، وقد أتاحت صفوفٌ

دراسيةً هيئاتها مؤسسات دينية ومنظمات غير حكومية للنساء فرصاً للاجتماع بغيرهنّ، وللسترخاء، واكتساب مهارات جديدة، والأخذ بأعمال الخياطة والطهي، فكانت لهنّ مخرجاً من حدود البيت. ومع ذلك، من الممكن أن تتحكم جماعات من النساء معيّنة بصوف بناء المهارة التي تُديرها المنظمات غير الحكومية، ولا سيما من أساسهنّ من الطبقة المتوسطة. وفسّر ذلك ممثلون من المنظمات غير الحكومية، بأن كثيراً من النساء المتعلّقات أصلاً اللواتي أصابهنّ الملل، يغلبن على غيرهنّ في صفوف الطهي والخياطة، وبأنهنّ يستعلنّ أن يدخلن ثانية، مرةً بعد مرة، في الصفوف لأنهنّ فهمنّ نظام قبول الدخول كيف يعمل. وهكذا، كانت شعّب المنظمات غير الحكومية أماكن تقضي فيها بعض اللاجئات أوقات فراغهنّ، لا كلهنّ.

فبراير/شباط ٢٠٢٠

www.fmreview.org/ar/cities

سارة لن slinn1@sheffield.ac.uk
 مرشحةٌ يُموَّلها مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية لنيلِ درجة
 الدكتوراه، في قسم الدراسات الحضريَّة والتخطيط، بجامعة شِفِلد
www.sheffield.ac.uk/usp

١. دَعَمَ هذا العملَ الميدانيُّ بعضَ الدَّعمِ مركزَ وايت روز للتدريب على الدكتوراه
 (White Rose Doctoral Training Centre).

تنمية الأماكن العامَّة الخَصرة في الأولويَّة، فهذا يُفسحُ
 السبيلَ لتوسيع التفاعل المجتمعي. فيمكن تصوُّر الأماكن
 وتنميتها بمشاركة مختلف أصحاب المصلحة المعنيين، ومنهم
 المجتمعات المحليَّة المضيِّفة واللاجئون، لتعزيز الشعور
 بالتشارك في العمل والمسؤوليَّة، فيُضَمَّنُ بذلك حفظ الأماكن
 على الرغم من قِلَّة الموارد.